

ماذا حققت الثورة ضد الانقلاب؟



الاثنين 24 فبراير 2014 12:02 م

حسن القباني

منسق حركة صحفيون من أجل الإصلاح

مع استمرار الحراك الثوري في مواجهة الانقلاب العسكري في مصر ، تطرح قطاعات ثورية عديدة وقواعد شعبية مهمة في صلب الحراك الثوري سؤالاً وجيها عما حققته الموجة الثورية الحالية لاستكمال ثورة 25 يناير وتمكين مكتسباتها وتحقيق أهدافها بعد مرور ما يزيد عن 7 شهور من بدايتها في 28 يونيو 2013 باعتصام رابعة العدوية .

وللإجابة عن هذا السؤال المهم ، يجب أن نضع عدد من المنطلقات لفهم ما يأتي في ضوء مسار واضح ، وللبناء عليه ، وهي منطلقات أربع كالتالي :

أولاً : إن دراسة تجارب الثورات والانقلابات تكشف حقيقة واحدة وهي حقيقة التدافع لا التراضي والتوافق مع الخونة والقتلة ، وأنه لم يدم انقلاب مهما طال الوقت ، وأن استعجال الثمرة يدفع للخطأ .

ثانياً : إن أي نضال حق له تضحيات جسام ، وهي واجب ديني ووطني ، وتعتبر مكاسب حقيقية فهي تفتح الطريق لصناعة رموز نضالية قدوة تولد أجيال قوية من القيادات المجاهدة ، ونعيم سرمدي وعد الله عزوجل به المجاهدين المناضلين في سبيل اقرار الحق .

ثالثاً : استمرار عدم استقرار الانقلاب ، مع العمل على ابداع مناخ الحسم بكافة السبل الممكنة بحسب وصف تحالف الشرعية ، يساهم في نجاح متعدد الجوانب ، لاجتثاث حقيقي وكامل لنظام كامب ديفيد ، وشيطننة الصنم الأمريكي وكسر الخنجر الصهيوني ، وجمع الحشود الغاضبة على مبادئ الحق وأهداف الثورة وإقرار الاستقلال الوطني الكامل والحقيقي .

رابعاً : الثورة نتاج تراكمي ومعركة نقاط ، والعبرة ليست برؤية النصر الكامل بقدر تسليم اللواء بثبات تام علي مبادئ الحق ، ولقد مات سيد الثائرين نبينا محمد صلي الله عليه وسلم ولم يرى نتاج كامل للحراك الثوري ضد القيم السلبية التي ابتعثه الله عزوجل بالدين الخاتم ضدها كي يقود ثورة انسانية عالمية لانقاذ الانسان وعودته الي رب الاكوان ، مع اختلاف التشبيه بالطبع .

وبناء علي ذلك نستطيع أن نرصد المشهد الثوري بوضوح ، ودون دخول في جدالات وسجلات في الاطار التالي :

أولاً: حقق الثوار انتصارات جزئية متتالية منذ الموجة الثورية ، ومنها : الوصول الي بناء قاعدة صلبة للثورة ، تجذرت في التربة المصرية ، والصمود الثوري المتصاعد رغم ارهاق الانقلاب وقمعه الوحشي ، وكسر ثنائية الصراع ومد المواجهة ضد الانقلاب الي قطاعات جديدة كانت سقطت في خطة التمويه والخداع ، وخلق شعار مصري انساني عالمي وهو شعار رابعة ، وكسب النضال لقطاعات جديدة في المجتمع ، برز منها مفاجآت مبشرة في قطاعي النساء ، وفصح الدولة العميقة المبنية علي عين المحتل ونظام كامب ديفيد ورموزها الفسدة والخونة وعملاء امريكا والكيان الصهيوني ، وصعود الشباب الي هرم القيادة وسيطرتهم علي القيادة الميدانية للحراك الثوري بما يبشر بنقلة حصارية للوطن .

ثانياً : اجبار قادة الانقلاب العسكري على الفشل والإنجرار في كثير من الاحيان كرد فعل علي الحراك الثوري ، وهو ما ادي الي تغيير خارطة طريق الانقلاب اكثر من مرة ، ومرور الجدول الزمني لها دون انجازها ، وصعود قائد الانقلاب الي صدارة المشهد وفصح تناقضاته وخيائته ، ووضع الدولة العميقة في اختبار حقيقي مع الشعب ، ظهر بوضوح معالم فشلهم فيه ، حيث اقتنع رجل الشارع البسيط في احيان كثيرة ان النظام الديمقراطي المعطل والمختطف رأسه قسراً كان ارحم وافضل لو امتلك ربع ما يمتلكه قادة الانقلاب ، كما ظهر الي حدما الامبراطورية الاقتصادية لقادة الانقلاب ، وانفصال مصالحهم عن الجيش ، واتخاذهم له كمطية لتحقيق اهداف خاصة دينية .

ثالثاً : سجل الانقلاب العسكري خسائر مدوية ومتتالية في مجال حقوق الانسان واستقلال القضاء وسيادة القانون والحريات الصحفية والإعلامية وتمكين المرأة والديمقراطية ، ويمكن القول أن قادة الانقلاب لم يحققوا نتيجة ايجابية لصالح أي قيمة ايجابية ، بل صنعوا كل الوسائل السلبية لايجاد كل ما هو سلبى ، حيث رسخوا لدولة بوليسية حمقاء وجمهورية كرب وخوف ومملكة خراب وفقر .

رابعاً : كسبت ثورة 25 يناير في هذه الموجة ، رفع الغطاء عن ادعاء الثورة وحناجر المنصات وعملاء الأمن الأسود ، وسقطت كثير من الافتراءات عن الثوار الحقيقيين ، وبدأ ظهور نجاحات محدودة في كسر جبل الجليد بين شركاء الثورة الحقيقيين ، واتضح جلياً من هم الثوار ومن هم حلفاء مبارك السريين ، فحوت السجون والميادين الثوار وجمعت القصور ومواخير الفساد الأشرار ، بل كسبت الثورة بداية حقيقة في 28 يونيو 2013 لاستكمالها بعد استنفاد كافة السبل والمحاولات غير الثورية والدخول في مسارات اعترف الجميع بفشلها .

خامساً : عرفت الديمقراطية انصارها الحقيقيين في المشرق وبلاد الربيع العربي ، حيث برز دور الاسلاميين وفي القلب منهم جماعة الاخوان المسلمين ، في الدفاع عن القيم الديمقراطية بعمق وتضحية وبذل ، في الوقت الذي سقط فيه اقطاب التيارات العلمانية في مستنقع مناهضة الديمقراطية ، وهو ما يؤسس لنجاح منقطع النظير للأفكار الحضارية المنطلقة من التيار الاسلامي في مصر ليس في الوطن العربي بل في العالم بأسره ولكن بعد حقب من الزمن والنضال .

سادسا : حقق مطلب القصاص نجاحا كبيرا رغم عدم حسمه لنقاط على الأرض ، ولكنه بات ركيزة أساسية ونقطة مشتركة لكل الثوار والمناضلين والغاضبين الجدد او المستيقظين مؤخرا ، فضلا عن انه بات هاجس مشترك في كل المبادرات التي تتحدث بالوكالة عن الانقلاب ، بعد فترة من الموات التام تحت تأثير القضاء المخدر والخداع في قدرة القضاء على حسم القصاص للشهداء.

سابعا : شكل مطلب الحرية ، أملا جامعا لدي جميع الفرقاء ، بحيث استطاع الانقلاب بغيائه تجميع كل الفرقاء علي مطلب لا يختلف عليه اثنين ، وهو مطلب يشكل عودة جماعية لاحضان الثورة واهدافها ، وكسرا قويا لحملات الانقلابيين لتفريق الصفوف.

ثامنا : أنصفت الأيام قليلا الرئيس المنتخب المختطف الدكتور محمد مرسي ، وبدا واضحا لقطاعات ليست بقليلة ، انه مظلوما ، كما ظهر صموده ووقوفه كرمز للثورة ، وبدأت تسقط بقوة حملات شيطنته ، فيما تبقى رواسب ليست بقليلة لدي بعض الاحزاب والقطاعات ضد شخصه وطريقة ادارته ، وهي أمور طبيعية تدخل في نطاق الخلاف الحزبي والبشري ولكن لا دخل للثورة بها ، فتمكين الديمقراطية هي تمكين لاجلها من الشرعية ، وتمكين الرئيس من اداء مهامه هو تمكين للارادة الشعبية التي قامت من اجلها الثورة ، والشرعية الدستورية اجمالا هي جزء من الشرعية الثورية واحد نتائجها التي يمكن التأسيس عليها وتطويرها بما يسع الجميع لا الغائها بناء علي اراء غير ثورية .

تاسعا : استمرار الانقلاب بغيائه الحالي يعني زيادة الفشل والجرائم وأعواد المشانق ، ولا يغرن أحد استمراره في مناصبه وكراسيه واحلامه واجراءاته ، فكل ما بني علي باطل فهو باطل ، وحتى الاجراء الوحيد الذي صنعه وهو الاستفتاء الباطل علي وثيقة الدم حاز على اجماع وطني بالمقاطعة الثورية فضلا عن ملاحقته قضائيا ، ما نزع عنه اي شرعية ، بل ان تقديم الانقلابيين لما يسمى الانتخابات الرئاسية علي كافة الاجراءات وترقية الفريق الخائن ، وتصدر حملات نفاقه المشهد صب في صالح خسائهم .

عاشر : شكلت الموجة الحالية زخما قويا للمصريين في الخارج ، اعطتهم الفرصة والمساحة لعرض نضال المصريين من جديد لانتزاع الديمقراطية ووقف الاستبداد وشبح تمده ، وهو ما لم يحدث في الثمانية عشر يوما قبل اسقاط المخلوع مبارك .

حادي عشر : شهد المجتمع المدني والحقوقى ولادة كيانات جديدة تدافع عن حقوق الانسان بشكل حقيقي وتناصر قيم المجتمع المدني بشكل منصف ، فالكيانات المهنية المناهضة للانقلاب ومنظمات كالمرصد المصري للحقوق والحريات ومراقبون لحماية الثورة وانسانية والمرصد العربي للحريات ومرصد طلاب حرية بجوار الكرامة والشهاب ، شكلوا ايقونة نبل مجتمعي وحقوقى في وقت صمتت المنظمات الحقوقية اليسارية والليبرالية عن الجرائم لارضاء موقف قياداتها الداعم للانقلاب ، وتواطئت القيادات النقابية المحسوبة علي اليسار والناصرية والليبرالية ضد القيم النقابية وقاموا بهدم العمل النقابي ونقابتا "المهندسين والصحفيين" نموذجا.

وبقيت كلمة ..

قراءة المشهد بها الكثير ، ونستطيع القول أن الثورة ماضية الي النصر الكامل والحسم الكامل بعون الله عزوجل ، في وقت معلوم ، قد يحسمه مجهول أو معلوم ، ولكن على قدر أهل العزم تهزم العقبات ، وعلى قدر فهم المشهد تحسم النتائج ، وعندما يكون كل منا ثورة تمشي على الأرض ساعتها فلننتظر النصر على الابواب .